خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/١١/١٣

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين

تحدّثتُ في الخطب السابقة عن أسوة النبي ﷺ الحسنة في البساطة والتواضع. واليوم سأعرض بعض الأحداث والوقائع من حياة خادمه الصادق، سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، – اقتداءً بسيده ومولاه ﷺ– تتعلّق بهذا الجانب من حياته.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "وقد كُشف على هذا العبد المتواضع أن حياتي تماثل حياة المسيح عليه السلام في فترتها الأولى من حيث الفقر والتواضع والتوكل والإيثار والآيات والأنوار، وأن هناك تشابها كبيرا بين طبيعتي وطبيعة المسيح، وكأنهما قطعتان من جوهر واحد، أو ثمرتان لشجرة واحدة، ويوجد بينهما اتحاد شديد بحيث لا يوجد بينهما إلا فارق بسيط جدا من حيث النظرة الكشفية. ثم هناك مماثلة ظاهرية أيضا وهي أن المسيح كان تابعًا لنبي كامل وعظيم، أعني موسى عليهما السلام، وكان خادمًا لدينه، وإنجيله فرع للتوراة، وأنا أيضا من أحقر خدام ذلك النبي الجليل الشأن ﷺ الذي هو سيد الرسل وتاج المرسلين أجمعين. فإذا كان هؤلاء حامدين فهو أحمدُ، وإذا كان هؤلاء محمودين فهو محمّد ﷺ".

يروي السيد الدكتور محمد عبد الله رضي الله عنه:

مرة كان المسيح الموعود عليه السلام ذاهباً للتنزه، وفور خروجنا من البلدة بدأ الحديث عن وفاة المسيح الناصري عليه السلام. بالقرب من بستان النواب محمد علي خان رضي الله عنه (لعل بستان النواب محمد علي خان رضي الله عنه الذي كان آنذاك خارج عمران قاديان، أو ربما في مكان مزرعة بشير أحمد رضي الله عنه كانت هناك بركة صغيرة محاطة بالعشب الأخضر، وكان هناك أيضاً شجرة من أشجار السدر أيضا. فجلس المسيح الموعود عليه السلام هناك، واستمر الكلام في هذا الموضوع. فقال أحدهم: يا سيدي! إن الأمة المسيحية أيضا قد أقرت الآن بوفاة المسيح عليه السلام، فاتركوا هذه القصة. (لعل أحدا ممن كان يتحدث إلى المسيح الموعود عليه السلام بدون تكلّف قال ذلك) فقال عليه السلام: "لا يزال في الموضوع رمق الحياة. (أي لا نستطيع أن نقول بأن الموضوع قد انتهى نهائيا، بل

لا يزال ينفث السم ولن ينتهي ما لم يُسحَق رأسه. (هذا تعبير في اللغة البنجابية ويعني أن الحية لا تلفظ أنفاسها الأخيرة ما لم يُسحَق رأسها كليا) فما دام رأسه لم يُسحَق بعد، فإن روح هذه المسألة لم تزهق بعد". كان المسيح الموعود عليه السلام يمشي بسرعة كبيرة في أثناء التنزه حتى إن معظم الناس كانوا يركضون ليلحقوا به. وقد حدث مرارا أثناء الركض أن اصطدمت أقدام الناس بعصاه عليه السلام فسقطت.

يروي السيد محمد دين رضي الله عنه:

حدث ذات مرة حين كنت في سن الطفولة، كانت سني آنذاك حوالي ١٤ أو ١٥ سنة، وقد سنحت لي بضع مرات فرصة أنه عندما كان المسيح الموعود عليه السلام يخرج للتنزه، وكانت السيدة أمّ المؤمنين رضي الله عنها ترافقه، فكانت النساء يغتنمن هذه الفرصة فيخرجن معها أيضاً، ولما كنت صغير السن فأذهب أنا أيضا مع عمتي، وكنت أرى أن المسيح الموعود عليه السلام كان يجلس في الحقل على أرض ذات عشب، وتجلس النساء أيضاً، فكان المسيح الموعود عليه السلام ينصحهن طول فترة جلوسه هنالك. كان المجلس بسيطا، وكان المسيح الموعود عليه السلام يجلس على الأرض وينصح النساء حول واجباتهن.

كذلك يروي المفتي محمد صادق رضي الله عنه:

لقد حدث صباح ١٠/٤/١٩٠٧م، حين خرج المسيح الموعود عليه السلام للتنزّه، وكان الصحابة برفقته بمن فيهم الحافظ محبوب الرحمن رضي الله عنه، وهو من أقارب أخينا منشي حبيب الرحمن رضي الله عنه، زعيم "حاجي بوره" وأيضا من أقارب أخينا منشي ظفر أحمد رضي الله عنه.

وأشار المسيح الموعود عليه السلام إلى الحافظ رضي الله عنه، وقال: "إنه يُحسن تلاوة القرآن الكريم، ولهذا السبب أبقيتُه هنا، لكي أستمع منه كل يوم لتلاوة القرآن الكريم. إنني شديد الرغبة في الاستماع إلى من يقرأ القرآن الكريم قراءةً صحيحةً متقنةً، بصوتٍ عذبٍ جميل". ثم التفت عليه السلام إلى الحافظ المذكور، وقال له: "اقرأ لنا شيئًا اليوم أثناء التنزّه."

وبناءً على ذلك، وبعد أن قطع مسافةً قصيرة، جلس عليه السلام بكل بساطة على طرف حقل، وجلس جميع الصحابة أيضًا على الأرض. فقرأ الحافظ رضي الله عنه سورة الدهر (الإنسان) بصوتٍ عذبٍ جميل، وبعد ذلك واصل حضرته النزهة.

يقول محرر جريدة الحكم وهو يذكر تواضع المسيح الموعود عليه السلام وبساطته:

عندما كان المسيح الموعود عليه السلام يخرج للنزهة ما كان يعير أدنى اهتمام ما إذا كان أحد قد تقدمه. بل في كثير من الأحيان يشعر الصحابة الأجلاء أن هناك غبارا صاعدا والمسيح الموعود عليه السلام وراءهم، ولكن حجة الله عليه السلام لا يهتم بالموضوع البتة. ويحدث كثيرا أن الناس يتقدمون ماشين من ورائه ويزدحمون عليه، فينخلع حذاؤه، أو يتعثر عليه السلام قليلا، أو تسقط عصاه، ولكن لم يسمع أو يشعر أحدهم قط أنه عليه السلام أبدى أدنى كآبة، أو أحب لنفسه وضعًا معيّنا في السير. لقد حدث في المسجد مرارا أنه عليه السلام كان جالسا

في حلقة الصحابة وجاء شخص من الخارج وتقدم وصافح المولويَ عبد الكريم أو حكيم الأمة (المولوي نور الدين) أولاً ظنًا منه أنه هو المسيح الموعود، وعندها يدلّه على المسيح الموعود عليه السلام. باختصار، إن أسوة النبي عليه السلام كانت ملحوظة تماما في شخصه عليه السلام، ومَن شك في ذلك فعليه أن يأتي إلى هنا ويرى بنفسه.

إذن، هذا هو الأسلوب الذي صرّح به المسيح الموعود عليه السلام في بيانه سيرة النبي ﷺ. وكان عليه السلام نموذجا عمليا لسُنّة سيده ﷺ ولاقتداء أسوته الحسنة.

يروي السيد الشيخ محمد نصيب رضي الله عنه:

أثناء التنزه إذا اصطدمت قدم أحد بعصاه عليه السلام وسقطت، أو وقعت قدم أحد على حذائه عليه السلام فخرج من قدمه، فإنه عليه السلام كان يتوقف، لكنه لا يلتفت إلى الوراء ليرى من الذي وطئ، حتى لا يشعر ذلك الشخص بالخجل.

يقول السيد بهائي عبد الرحمن القادياني رضي الله عنه:

كان من أبرز جوانب حياته عليه السلام أنه لم تكن لديه عادة التكلف والتصنع ليُظهر نفسه متميزاً. وكانت كل حركاته وسكناته تشهد بذلك. مرة ذهب عليه السلام مع بعض الصحابة إلى ديرة بابا نانك لزيارة عباءة بابا نانك رحمه الله. فُفرشت تحت شجرة البانيان بعض الأقمشة، فجلس عليها المسيح الموعود عليه السلام مع أفراد الجماعة.

فلما علم أهل البلدة بقدومه عليه السلام جاؤوا للقاء. وبما أن مجلسه كان مشهدًا لبساطة الصالحين، ولم يُخصص له أي مكان بارز، فقد وقع كثير من الناس في وهم أن المولوي محمد أحسن هو المسيح الموعود، وهو زعيم ومرشد لمقاطعة بطالة، فصاروا يصافحونه. ثم بعد أن أرشدهم المولوي محمد أحسن توجهوا إلى حضرته عليه السلام. وقد تكررت مثل هذه الأحداث مرات عديدة في حياته.

لم يكن حضرته يحب أن يكون له مكان بارز، ويقول عن ذلك المولوي فضل إلهي رضي الله عنه:

كان مجلس حضرته عليه السلام يتسم بغاية البساطة وعدم التكلف. لم تكن هناك أريكة خاصة له كما هو شأن المشايخ في هذه الأيام. وكان حضرته عليه السلام بعد صلاة المغرب ، في حياة المولوي عبد الكريم، كثيرًا ما يجلس في المسجد المبارك على مكان مرتفع قليلا يسمّى "شاه نشين"، فيشرف الخدام برؤيته وكلامه الطاهر ويظل هناك حتى صلاة العشاء. وكان المولوي عبد الكريم يسأل حضرته عن مسائل عديدة، فيجيبه، ويتحدث مع الضيوف.

يجب ألا يفهم أحد من "شاه نشين" أنه كان هناك عرش كبير أو عرش ذو وسائد للجلوس عليه، كلا، بل كان يجلس مواجهًا للناس في المكان المركزي في المحراب، أو إذا كان المجلس على السطح، فكانت هناك منصة صغيرة من الآجر يجلس عليها حضرته.

يروي المنشي إمام الدين ﷺ فيقول:

بايعتُ حضرة المسيح الموعود عليه السلام على يده المباركة سنة ١٨٩٤م. وكان وقت صلاة المغرب. وكان معي أخي المنشي عبد العزيز الأوجلوي والأخ المرحوم جمال الدين السيكهواني. وبعد الفراغ من الصلاة أشار المنشي المذكور إليّ وقال: سيدي خذ بيعته. فقال حضرته: "فليدخل". فلما دخلتُ وحدي إلى بيت الفكر، جلس حضرته عند جهة الأقدام للسرير، وأمرني أن أجلس عند رأسه. فترددتُ أولًا، لكنه أخذ البيعة وأنا جالس هناك. فبقيتُ متعجبا من هذا السلوك: أين أولئك المشايخ الذين لا يستطيع أحد أن يجلس بجانبهم، وأين هذا الشيخ الذي بعثه الله مسيحا موعودًا، يُجلس خادمًا حقيرًا مثلي عند رأس السرير ويجلس هو إلى ناحية الأقدام.

ربما ليس لدى البعض تصور عن السرير التقليدي وعن جهة الرأس له والأقدام، فإن جهة الأقدام للسرير كانت تحتوي على الحبال على مسافات متباعدة وكانت تستخدم من أجل شد شبكة الجزء الأصلي من السرير، وعليه فإن هذا المكان يكون خشنًا غير مريح، أما جهة الرأس فهي المكان الناعم والمريح.

يقول حضرة شودري بدها ﷺ:

مرة جئتُ إلى قاديان، وكان في دار الضيافة الجديدة أربعة أسِرّة جديدة وواحد قديم. فجاء حضرته عليه السلام وجلس على السرير القديم المكسور. وكان حوالي ستة أو سبعة أشخاص واقفين، فأمر الجميع بالجلوس. فشعرنا بخجل شديد أن حضرته عليه السلام جلس على سرير صغير قديم ومكسور، فكيف نجلس نحن على الأسرة الجيدة؟ وبينما نحن نفكر في ذلك قال أحد المولويين منا: تظهرون بهذا أنكم تحترمون حضرته عليه السلام، لكنكم تخالفون أمره. فعندئذ جلسنا.

يروي المفتي محمد صادق واقعة بيعته فيقول:

قلت للحافظ حامد علي إني أريد أن أبايع، فاصطحبني حضرته إلى بيت منعزل، وأغلق الباب من الداخل. في تلك الأيام كانت بيعة مبايع تؤخذ بمفردها، كان هناك سرير، أمرني حضرته بالجلوس ثم جلس عليه بنفسه أيضا، وجلست أنا أيضا، فأخذ حضرته يدي اليمنى في يده وأخذ مني البيعة على الالتزام بالشروط العشرة للبيعة. لم يردد حضرته شروط البيعة شرطا شرطا وإنما استصدر مني الالتزام بالشروط العشرة فقط. وهو الطريق المتبع في هذه الأيام أيضا.

يقول حضرة شودري غلام حسن ﷺ:

في أغسطس سنة ١٩٠٧م جئتُ إلى قاديان، وكان مقصدي أن أبايع على يد حضرته عليه السلام. وكانت دار الضيافة آنذاك في بيت مرزا بشير أحمد وبسبب مرض مبارك أحمد لم يتمكن حضرته من الخروج لمدة ثلاثة أيام، (يقول بأن المسيح الموعود عليه السلام لم يستطع الخروج ليومين أو ثلاثة بسبب مرض ابنه الصغير) فلم تتم بيعتنا. فقدمنا إليه أن قد مرّ علينا يومان أو ثلاثة، فليتفضل حضرته بقبول البيعة. فاستدعانا حضرته

إلى السطح الثاني للبيت، وكان هناك سريران: أحدهما سرير جيد متين، والآخر صغير جدًّا وضعيف. فلما جاء حضرته أجلسنا نحن الثلاثة على السرير الجيد، وجلس هو على ذلك السرير الصغير الضعيف وأخذ البيعة.

يذكر المفتي محمد صادق مثالا آخر لبساطة تلك البيئة فيقول:

أتيت البيت عصرًا ووجدت حضرته جالسًا على سرير في الخارج مع بعض الخدام بمن فيهم المرحوم القاضي الخواجه علي، ولم يكن قد فُرش على ذلك السرير أي رداء أو ملاءة لحضرته خصيصا، وكانت هناك بعض الأسرة الأخرى، فجلست على أحدها، فخاطبني حضرته قائلا: "أيها المفتي المحترم! لقد قررتُ الذهاب إلى أمرتسر فجأة، فتجهزْ أنت أيضا، (كان المجلس يتسم بالبساطة وكانت البيئة مطبوعة بطابع البساطة أيضا ففي هذه الأجواء أمر حضرتُه المفتي المحترم بذلك ثم قال:) لا أخبرك بتفصيل هذه الرحلة بل سوف يخبرك بها الأحباب لاحقًا". (يقول المفتي المحترم:) كانت هذه أول رحلة بالقطار تسنت لي فيها رفقة حضرته عليه السلام.

يروي السيد منشي ظفر أحمد رضي الله عنه الكبورتهلوي حادثة وقعت في الأيام التي كانت تجري فيها المناظرة مع عبد الله آتهم في أمريتسار، فيقول:

غالباً كنا نقيم في دار أحد الأثرياء اسمه كريم بخش، فانضم إلينا العقيد ألطاف علي خان، وقال لي: أريد أن ألتقي بحضرته على انفراد. وكان العقيد يرتدي سترة وسروالا، وقد حلق لحيته وشاربه. فقلت له أن يدخل (أي أنه قال للعقيد بأنني أدبر أمرك، فأرسله إلى الداخل وقال:)، ولن نسمح لأحد بالدخول من الخارج، (وذلك لكي تتمكن من اللقاء مع حضرته على انفراد) ولا حاجة إلى الاستئذان للدخول. فدخل العقيد وبقي حوالي نصف ساعة على انفراد مع حضرته. فلما خرج كانت عيناه تفيضان بالدموع. فسألته: ماذا دار بينكما حتى صرتَ على هذه الحال؟ فقال: لما دخلتُ وجدتُ حضرته جالسا على حصير في غرفته، لكن لم يكن على الحصير إلا ركبته أما باقي جسمه فكان على الأرض. فقلت إن حضرتك جالس على الأرض، فظن حضرته أنني (أي اللواء المحترم) لا أريد الجلوس على الحصير، فبسط رداءه على الحصير، وقال لي: "تفضل بالجلوس هنا"، (أي قد بسط على ذلك الحصير ثوبه الناعم. فبمشاهدة ذلك ذرفت عيناي الدموع، وقلت له، لا شك أنني تعمدت في إنجلترا، وتنصرت، لكنني لست وقحا حتى أجلس على رداء حضرتك. فقال حضرته: "لا حرج في ذلك، اجلس عليه بلا تكلف". فأزحتُه عن الحصير بيدي وجلست على الحصير، ثم بدأت أقص عليه أحوالي، وقلت إنني أشرب الخمر كثيرا، وأرتكب ذنوبا أخرى أيضا، ولا أعرف اسم الله ولا رسوله، لكنني الآن أتوب عن المسيحية على يدكم، وأُسْلم، لكنني أجد التخلي عن الذنوب التي تعودتها صعبا. فقال حضرته: "اِستغفر الله وتعود على الصلاة". ثم ظل حالي يتغير ما دمتُ عند حضرته وظللت أبكي. وفي هذه الحالة أقررت له أني سوف أداوم على الاستغفار

والصلاة حتما. ثم انصرفت من عنده بعد إذنه، وظل ذلك التأثير في قلبي عند الخروج من عنده وإلى الآن يلازمني.

هذا اللواء المحترم كان قد شارك في المناظرة مع آتهم، وكان يجلس مع المسيحيين، ثم وُفق للتوبة على يد سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام.

يقول حضرة شيخ يعقوب علي عرفاني ﷺ عن جلوس سيدنا المسيح الموعود عليه السلام على الحصير: لقد حضرتُ مناظرة آتهم، ورأيت ذلك الحصير، فعندما كان حضرته يعود ظهرا بعد المناظرة، ولما لم يكن في البيت مكانٌ بسبب الضيوف كان حضرته يفرش ذلك الحصير في ظل الجدار على سطح الغرفة، فكانت قطعة من الخيش وكان حضرته يجلس عليها ليكتب بعض الملاحظات ويستلقي عليها ساعة ليستريح، وهي نفسها كانت تشكل بيت الدعاء أيضا، وحين انتقل حضرته من ذلك البيت إلى بيت فخم للحاج محمود ذهبت إليه ذات صباح لأريه بعض النصوص من الكتاب المقدس، وكان ذلك ربما آخر يوم للنقاش، أو قبله بيوم، وكان حضرته مصابا بالإسهال وكان يعاني المرض في البطن، وكان جالسا على تلك القطعة من الخيش، ولم تكن له وسادة ولا فراش، وكان جسمه المبارك حتى الظهر على تلك القطعة وبقية جسمه كان على الأرض. فلما رأيته تذكرت استلقاءَ النبي ﷺ على الأرض وانطباعَ أثر السعف على جسده المبارك ﷺ، ففاضت عيناي بالدموع حين رأيت النبي ﷺ في هذه الحالة وحالة حضرته عليه السلام هذه.

يقول حضرة مفتي محمد صادق ﷺ: ذات مرة كنت قد أتيت من جامون إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في قاديان في إجازة صيفية، في تلك الأيام كان سيدنا المولوي نور الدين الخليفة الأول أيضًا قد هاجر إلى قاديان وكان قد بُني البيتُ الذي كان يمارس فيه الطب، وكان يجلس فيه طول اليوم تقريبًا، ذات يوم كنت أجلس عند سيدنا نور الدين في تلك الغرفة، إذ فاجأنا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بزيارته وحده، وكان بيده بعض الكتب، فجلس من دون أي تكلف على الحصير الذي كنا نجلس عليه، ثم خاطبَ المولويَّ المحترم قائلًا: "كانت عندي بضع نسخ من كتاب الكحل لعيون الآريا، أحضرتها الآن لتوزّعها حسب الحاجة". فقلت يا سيدي، أريد واحدة، فسلَّم لي نسخة منها، وهي نفسها محفوظة إلى الآن في مكتبة صادق.

يقول حضرة الحكيم جمال الدين المحترم إن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ناظرَ المولوي محمد حسين البطالوي في الساعة الرابعة مساء في بيت المولوي محمد حسين زعيم لدهيانه في لدهيانه، ولا أتذكر الشهر ولا السنة، ولم أكن قد بايعت بعد، وكنت موجودا في البيت الذي عُقدت فيها المناظرة، وكنت أحسن الظن بالمسيح الموعود عليه السلام وكان رأيي عن حضرته جيدا، ولقد تسنى لي حضور المناظرة لأني كنت موظفا في دائرة قنوات الري في لدهيانه، وكنت أزور حضرته بين حين وآخر عند طروء الحاجة. كان حضرته جالسا على حصير

ببساطة، أما المولوي محمد حسين البطالوي فكان جالسا على سجادة فاخرة ويستند على وسادة، أي كان أسلوب جلوسه فاخرا بينما كان جلوس حضرة المسيح الموعود بسيطا جدا.

لم يكن حضرته يحب معاملة مميزة قط، وعن ذلك يقول حضرة ميان عبد العزيز المعروف بالمغول أن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حين شرَّف لاهورَ بمجيئه لإلقاء المحاضرة في عام ١٩٠٤ تشاورنا نحن بعض الشباب. عندما يأتي هنا قادةُ الأمم الأخرى فإن شباب تلك الأمم يجرّون عربتهم بأنفسهم مكان الأحصنة، أما الإمام الذي أعطانا الله سبحانه وتعالى فهو جليل القدر لدرجة ليس لكبار الملوك أمامه أي مكانة. لذا يجب أن نجر اليوم عربته بدل الأحصنة، (هذا ما قرره بعض الشباب). فقلنا لصاحب العربة أن يفصل عنها الحصانين، اليوم سنجر العربة نحن، ففعل ذلك. فلما خرج حضرته سأل: "أين الأحصنة؟". فقلنا له يا سيدنا عندما يأتي هنا قادة الأمم الأخرى فإن الشباب من تلك الأمم يجرّون عربتهم بدلا من الأحصنة، اليوم نريد أن نتشرف بجرّ عربة حضرتك. فقال: "اربطوا العربة بالأحصنة، أنا لم أُبعث لأجعل الإنسان حيوانا، إنما بعثت لأجعل الحيوان إنسانا، فهذا العمل يخص الأحصنة فاربطوها بها، هذا العمل لا يليق بالإنسان، وليس من عملي أن أوظف الناس في عمل يخص الحيوان، إن مهمتي أن أجعل الحيوانات أناسا"، أي أن أعلِّم المنحطين روحانيا الدينَ والأخلاق السامية.

هناك مزيد من الوقائع حول هذا الموضوع وسوف أتناولها في المستقبل. والآن أود أن أذكر بعض المرحومين، وأولهم الحاج شيخ يوسف عثمان كمبولايا التنزاني، وكان يعمل هناك داعية أحمديا، فقد توفي في ٢٠٢٦/١١/٦ عن عمر يناهز ٨٤ سنة، إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان بفضل الله موصيا، وترك خلفه سبعة من الأولاد وأحفادا وحفيدات.

كان والده المحترم المعلّم عثمان كمبولايا من أوائل الأحمديين في أسرته، يقول السيد الخواجه مظفر أحمد المحترم القائم بأعمال أمير الجماعة في تنزانيا: كان المرحوم قد كرس جزءا طويلا من حياته لخدمة الإسلام الأحمدية، حيث أقام في ربوة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧ لتلقي التعليم في الجامعة الأحمدية وتخرَّج منها حاملا شهادة شاهد، وبعد ذلك وُفق لخدمة الدين في شتى مناطق تنزانيا، فقد أنجز مهامه بمنتهى الجهد والإخلاص والوفاء. كان من أبرز جوانب حياة المرحوم أنه أدى متطلبات الوقف حتى أواخر حياته بكل معنى الكلمة، وثبت على حماسه لخدمة الدين رغم سنه المتأخر وشتى المشاكل. لم يكن يرى الانضمام إلى الوقف بصفته عهدا فقط، بل كان يعدّه الهدف من حياته ومسؤولية مقدسة، وأنجزها على ما يرام حتى آخر اللحظات من حياته، وقال عنه أقاربه أنه كان أبا لطيفا، فقد ربى أولاده بحسب المبادئ الأساسية المتينة للأحمدية، واليوم يخدم جميع أولاده بفضل الله الجماعة في شتى المناصب. كان المرحوم متحليا بأخلاق سامية جدا، فكان تقيا ومتواضعا وكريما وخادما لخلق الله، كان قلبه عامرا بحب عظيم لله سبحانه وتعالى ورسول الله ﷺ والمسيح الموعود عليه السلام والخلافة. فقد حقق شعار الجماعة عمليا "الحب للجميع ولا كراهية لأحد" طول حياته.

لقد أخبرني أولادُه أن والدتهم بينتْ لهم أن معاش والدنا تأخر عن الموعد بمناسبة عيد الفطر مرة، فقد تأخر وصوله بسبب الأوضاع، ولم يكن في البيت شيء للأكل واحتفال الأولاد بالعيد، لكن المرحوم ظل مطمئنا تماما رغم أن والدتنا قالت له مرارا أن يفعل شيئا وأبدت القلق، وقال مبتسما: إن الله سينصرنا بنفسه. ثم يوم العيد وقبل مدة قصيرة من صلاة العيد حيث كانت الأسباب الظاهرة قد انقطعت تماما، جاءه صديق أحمدي وأهدى له مبلغا لم يتيسر به توفير الطعام وشراء ملابس الأولاد بسهولة فحسب بل قد تبقَّى منه شيء، فقال المرحوم معتبرا هذا الحدث المثلَ العملي للتوكل على الله: إن الله ﷻ لا يضيع عباده أبدا. وفي ذلك درس لجميع الواقفين والدعاة.

قبل نحو سنتَين من وفاته، أُجريت للمرحوم عملية جراحية معقّدة استغرقت ثماني ساعات، ثم نُقل بعدها إلى وحدة العناية المركّزة. وحين أفاق وبدأ يستعيد شيئًا من عافيته، عاد إلى العمل على ترجمة أحد كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، رغم ما كان يعانيه من ألم شديد. ولما نُصح بالراحة قال: لا، لا أستطيع أن أستريح، لأني أشعر أن الله تعالى رزقني هذه المهلة القصيرة كي أُتمّ العمل الذي كلّفني به خليفة المسيح.

ويضيف الكاتب أنه في مساء ذلك اليوم، ورغم شدة الوهن، كان حفيده يصلّي التهجد بالقرب منه ليلًا، فطلب منه أن يرفع صوته بالقراءة. وظل مستلقيًا على فراشه يستمع، فسمع سورة الفاتحة وقال: آمين، وكان يشارك في الدعاء. وبقي حتى آخر أيام حياته منشغلًا بالأعمال الدينية بقدر ما سمحت به صحته.

وهناك واقعة شيقة له تتعلق بأحد المسيحيين، وهي تدل على صلاح المرحوم. كانت شركة أحد أبناء المرحوم قد استأجرت طابقًا من مبنى تديره الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وبسبب نزاع بين المستأجرين، كُلِّف مساعد أسقف الكنيسة بإخلاء المبنى بمساعدة الشرطة. غير أن الأسقف تلقّى في المنام ثلاث ليالٍ متتالية تحذيرًا: توقّف، لا تتعرّض لهؤلاء الناس، واترك هذا الرجل وشأنه. فتأثّر بهذه الرؤى وأوقف الإجراء، وسافر بنفسه من (سونغيا) إلى (دار السلام) ليعرف مَن هو الشيخ كمبولايا الذي ذُكر له في تلك الرؤى، ومَن هؤلاء الناس؟ ولما أخبره ابن الفقيد بأن الشيخ كمبولايا هو والده، وأنه من داعية الجماعة الإسلامية الأحمدية، أبدى الأسقف دهشته وإجلاله، وقال: الآن فهمتُ لماذا مُنعتُ في المنام من اتّخاذ إجراء ضد هذه الشركة. واعترف بأن الشيخ كمبولايا إنسان صالح عظيم ومن المقرَّبين إلى الله تعالى. ثم زار الأسقف بنفسه الفقيد والتقى به وأعرب له عن تقديره وإجلاله.

لقد ترك الفقيد وراءه، بدلًا من المال والثروة، ميراثًا روحيًّا عظيمًا من الإيمان والتقوى وحبّ الخلافة والعطف على الخلق وخدمة الدين. وعلّم بقوله وعمله أن خدمة الدين ليست مسؤولية مؤقّتة، بل هي أمانة ينبغي أداؤها بالوفاء والصبر والإخلاص. ندعو الله تعالى أن يرفع درجات الفقيد، وأن يرزق الجماعة دومًا أمثالَ هؤلاء الخدّام المجتهدين الأوفياء.

والثانية هي ذكر السيدة أمة الشافي المحترمة، حرم الكابتن محمود أحمد خان، وهي حفيدة حضرة ميرزا شريف أحمد ﷺ من الأب وحفيدة السيدة نواب أمة الحفيظ بيغم رضي الله عنها من الأم. وهي ابنة العقيد داود أحمد والسيدة زكية بيغم. وقد توفيت عن اثنتين وثمانين سنة. إنا لله وإنا إليه راجعون. كانت بفضل الله تعالى منخرطة في نظام الوصية، ووُفِّقت لخدمة الدين كرئيسة محلية في "لجنة إماء الله" بمدينة كراتشي، كما وُفِّقت للخدمة عضوةً في الهيئة العاملة للجنة.

عندما أعلن الخليفة الثالث للمسيح رحمه الله تعالى عقد قرانها، ألقى خطبةً. وها أنا ذا أسرد عليكم هذه الخطبة لما فيها من نصائح كثيرة لنا جميعًا. قال رحمه الله: إن صلة العزيزة أمة الشافي بحضرة المسيح الموعود عليه السلام صلةٌ مزدوجة، من جهة الأخوال ومن جهة الأعمام. وكذلك صلة العزيز محمود أحمد بالمسيح الموعود عليه السلام مزدوجة، من جهة الأخوال ومن جهة الأعمام. وقال: إن العزيزة أمة الشافي هي حفيدة عمتنا الصغرى المحترمة من الأم، وهي حفيدة عمّنا حضرة مرزا شريف أحمد ﷺ من الأب. وكذلك فإن العزيز محمود أحمد هو حفيد السيدة نواب مباركة بيغم، عمتنا الكبرى، وهو ابن بنت حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ.

ثم قال: وبهذه المناسبة أودّ أن ألفت انتباه أعزائي، سواء كانت صلتهم بسيدنا المسيح الموعود عليه السلام جسدية (أي من أهل بيته) أم روحانية، إلى أنه من إحسان الله تعالى ومقامُ شكر، إذ هيّأ من الأسباب ما جعلنا من المنتسبين إلى حضرة المسيح الموعود عليه السلام.

لقد دعا المسيح الموعود عليه السلام لأولاده دعواتٍ كثيرة، وهي واردة في قصيدتَي "الآمين" وفي مواضع أخرى أيضًا. وحين نتأمل في هذه الأدعية يتبيّن لنا أن كل قاله المسيح الموعود عليه السلام في هذه الأدعية يُلقي علينا في الوقت نفسه مسؤولية. ثم قال الخليفة الثالث رحمه الله: سأعرض بعض الأمثلة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في قصيدة "الآمين" هذه، في أحد الأبيات:

"ليكن أولادي فداءً للحق، وليكونوا أحبّاءَ للمولى سبحانه وتعالى".

ثم قال عليه السلام: "أدعو الله ألّا يروا زمنَ العجز، ولا حالَ المصيبة وقلّة الحيلة".

هذه كلمات دعاء المسيح الموعود عليه السلام. ثم يقول سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله: إنه عليه السلام حين رفع هذا الدعاء، لفتَ أنظارنا إلى مسؤوليتنا وهي أن نقضي حياتنا وفق قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. فإن كنتم لا تريدون أن تروا زمن الضعف والعجز، وتتمنَّون النجاة من المصائب والآلام، فادخلوا في زمرة "بلى من أسلم". أوقِعوا على أنفسكم موتًا، وضحّوا بكل شيء في سبيل الله، واطلبوا منه تعالى حياةً جديدة تنالوها. فإن ضحَّيتم بكل شيء في سبيل الله، وأوقعتم على أنفسكم موتًا، فلن تروا زمن الضعف والعجز وقلة الحيلة. ولن يُستجاب هذا الدعاء إلا إذا عملتم أنتم أيضًا بمقتضاه.

ثم يقول: إن الشطر التالي الذي قاله المسيح الموعود عليه السلام هو:

"يا رب، أبعِدْهم عن الشيطان، وقرّبهم إليك".

وفي هذا أيضًا لفتَ انتباهنا إلى أن الشيطان إنما يغلب أولئك الذين لا يجاهدون في سبيل الله، أما الذين يجاهدون في سبيله ويؤدّون حقَّ المجاهدة فلا سلطان للشيطان عليهم. فإن فعلتم ذلك استُجيب دعاء المسيح الموعود عليه السلام لكم. ولكي يُستجاب الدعاء لا بدّ أن تُثبتوا ذلك بأعمالكم وفقًا له.

ثم قال عليه السلام: "أدعو الله أن يكونوا من أهل العزّ والشرف، ويكونوا مفخرة للعالمين".

وفي هذا لفتَ انتباهنا إلى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، أي أن مصدر العزّة كلها هو الله، فمن كان يطلب العزّة فليتّجه إليه. وأيّ عزّة لمن ينالها في أعين عشرة، أو عشرين، أو ثلاثين، أو أربعين، أو خمسين أو ستين، بينما قُدّر له عند الله الذلّ والغضب؟ فبيّن حضرته عليه السلام أن الله تعالى هو منبع العزّة كلها، فأَقيموا الصلة بمن تُنال منه العزّة الحقيقية لتحصلوا عليها.

ثم قال عليه السلام: "وأن يكونوا أولياءَ الله سبحانه وتعالى".

وقد قال القرآن الكريم: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾، أي أن الذين يتجنّبون نواهيه خشية سخطه، ولا يقربون الإثم والمعصية، يدخلون في حفظ الله تعالى. ولكي نكون أحبّاء المولى ونصبح في حفظه، لا بدّ أن نكون متقين في نظر الله. فبعض الناس يُعدّون متقين في نظر بعض الناس، لكنهم في الحقيقة ليسوا كذلك. والمتقي الحقيقي هو من كان متقيًا في نظر الله تعالى. وأيّ نعمة أعظم من أن يُحكم لإنسان بالتقوى عند الله تعالى؟

ثم قال عليه السلام: "وأن يملأ (الله) أرواحَهم نورًا، وقلوبَهم سرورًا".

وبهذا يلفت المسيح الموعود عليه السلام أنظارنا إلى أن علينا أن نُزيل الظلمات من داخلنا ونُنشئ فيها النور، وأن نسعى لنيل ذلك النور الذي يأتي من عند الله تعالى. فإن أردتم أن يستنير قلبكم بنور الله فسيروا في الطريق الذي رسمه. وقد بيّن لذلك طريقًا، وهو أن من يتبع النبيَّ ﷺ ويسير على نهجه يُعطى النور، ويواصل السير على الصراط المستقيم الذي وضعه الإسلام أمامنا، حتى ينجح في نهاية المطاف في نيل ذلك النور.

قال الخليفة الثالث: إن هذه أمثلة قليلة على أدعية المسيح الموعود عليه السلام. فكل دعاء دعا به، إذا تأمّلتم فيه، وجدتم في مقابله مسؤولية تؤيدها آيات القرآن الكريم، ويلزمنا أداؤها. فمجرّد الانتساب إلى المسيح الموعود عليه السلام، أو الظنّ بأنه دعا لنا، لا يكفي. فإن لم نلتفت إلى المسؤوليات التي تترتب علينا بسبب هذه الأدعية، فلن تنفعنا. وإنما تنفعنا هذه الأدعية حين نؤدّي المسؤوليات التي تترتب علينا بموجبها.

ثم يقول الخليفة الثالث: يا من تنتسبون إلى المسيح الموعود عليه السلام انتسابًا جسديًّا، ويا من تنتسبون إليه انتسابًا روحيًا، تأمّلوا في هذه الأمور. لقد بُعث المسيح الموعود عليه السلام ليجتمع حوله أناس يعملون بالقرآن

الكريم ويستنيرون بنوره. ثم دعا أن يوفّقنا الله تعالى للعمل بالقرآن الكريم، وأن تستنير قلوبنا بنوره، وأن نكون في نظر الله تعالى كما يريد أن يرانا.

وهذه نصائح بالغة الأهمية لأبنائهم، ولأفراد الأسرة، ولأفراد الجماعة كافّة. ينبغي أن نتأمل فيها ونعمل بها، وإذا فعلنا ذلك، حينئذٍ فقط نكون حقًّا قد أدَّينا حقَّ البيعة للمسيح الموعود عليه السلام.

من صفات السيدة أمة الشافي الشخصية أنها كانت شديدة الحرص على صلة الرحم والوفاء بحقوق القرابة، كثيرة الخدمة للآخرين. وقد خدمت حماتها خدمة عظيمة. فلما توفيت حماتها كتب الخليفة الرابع رحمه الله إلى زوجها: إن الناس ينالون الجنة من تحت أقدام أمهاتهم بخدمتهنّ، أما أمة الشافي فقد نالت الجنة بخدمة أمّ غيرها. وهكذا كانت خدومة جدًّا. كانت تُعين الفقراء، وتهتم بأقاربها، وكان هذا الاهتمام من دون أي رغبة في مقابل. وإن ما قدمته من خدمة ومساعدة للناس كانت تقدمه بإخلاص وتجرّد عن كل غرض. وقد تكفّلت بتعليم أبناء بعض العاملين عندها، وزودتهم بالتعليم العالي، فأصبحوا اليوم في سعة من العيش، وأصحاب ممتلكات.

أحد أحفادها من الواقفين للحياة، وهو داعية للجماعة. نسأل الله تعالى أن يوفّقه أيضًا لأداء حقّ وقفه، وأن يتغمّد المرحومة بواسع مغفرته ورحمته.

والذكر الثالث للسيد عبد الرفيق جدران من الولايات المتحدة، الذي توفي قبل أيام عن عمر ناهز السادسة والسبعين. إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان بفضل الله من الموصين. وترك ابنًا، وأربع بنات، وثمانية أحفاد وحفيدات. وكان حفيدًا من جهة أبيه لكلٍّ من السيد المولوي رحيم بخش رضي الله عنه، من تلوندي جهمران، والسيدة بركت بي بي رضي الله عنها، وهما من أصحاب المسيح الموعود عليه السلام؛ كما كان حفيدًا من جهة أمه للدكتور عبد الكريم خلجي.

وكان ابن الدكتور محمد عبد القدير جدران، الذي استُشهد في أغسطس عام ١٩٩٩ في نواب شاه، حين أُطلق عليه الرصاص وهو جالس في عيادته. وبعد شهر، في سبتمبر، استُشهد عمّه أيضًا بينما كان يعاين المرضى.

وعندما أطلق الخليفة الثالث للمسيح الموعود مشروع نصرة جهان، قدّم والده اسمه للخدمة دون أن يخبره. فلما جاءه الاستدعاء من المكتب، قَبِل الأمر بسرور، قائلًا إن والده هو الذي رشّحه. ثم وفّى بعهد خدمته. وكان وقفُه مؤقتًا؛ وقد وفّقه الله للخدمة في غانا ضمن مشروع «نصرة جهان» من يناير ١٩٧٤ إلى يوليو ١٩٨٧. وقد قضى معي هناك ثماني أو تسع سنوات حين كنت في غانا، ورأيتُه يعمل بوفاء واجتهاد وإخلاص. وكان حريصًا على الوفاء بعلاقاته، صديقًا لأصدقاء أصدقائه، وخادمًا للجماعة. نسأل الله تعالى أن يغفر له ويرفع درجاته، وأن يوفّق أبناءه لمواصلة أعماله الصالحة.

والذكر التالي للسيدة سليمة تبسم، زوجة المرحوم مرزا عبد الحميد من ميربور خاص بالسند. كانت قد ذهبت إلى سيراليون، إلى ابنها أو صهرها. وقد توفيت قبل أيام عن عمر ناهز الثالثة والسبعين. إنا لله وإنا إليه راجعون. وكانت بفضل الله من الموصيات، كما كان السيد عبد الرفيق جدران، المذكور آنفًا، من الموصين. وتركت ابنتين وابنين وكثيرًا من الأحفاد والحفيدات من أبنائها وبناتها.

وابنها السيد مرزا عطاء الرؤوف يخدم حاليًا كداعية للجماعة في أسبانيا. ولوجوده في ميدان عمله، لم يتمكن من حضور جنازة والدته ودفنها. ولم يتمكن سائر أبنائها أيضًا من حضور الجنازة لعدم وجودهم في سيراليون. وكانت حماةَ ذيشان محمود، داعية الجماعة في سيراليون، وكانت تقيم عنده. وكانت أيضًا ابنةَ عمّ المرحوم حيدر علي ظفر.

كانت تربطها بالله تعالى علاقة خاصة، وكان يطلعها في مناسبات كثيرة على بعض الأمور. وكانت دائمًا سبّاقة إلى خدمة الجماعة. نسأل الله تعالى أن يعاملها بالمغفرة والرحمة، ويرفع درجاتها، ويوفّق أبناءها لمواصلة أعمالها الصالحة. آمين.

****